

تفسير البحر المحيط

@ 340 @ هي رأس الزور { وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } كله . و { مِنْ } في { مِنْ الْأَوْثَانِ } لبيان الجنس ، ويقدر بالموصل عندهم أي الرجس الذي هو الأوثان ، ومن أنكر أن تكون { مِنْ } لبيان الجنس جعل { مِنْ } لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاماً ثم عين لهم مبدأه الذي منه يلحقهم إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ، وعلى القول الأول يكون النهي عن سائر الأرجاس من موضع غير هذا . .

قال ابن عطية : ومن قال أن { مِنْ } للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده انتهى . وقد يمكن التبعيض فيها بأن يعني بالرجس عبادة الأوثان ، وقد روي ذلك عن ابن عباس وابن جريج ، فكأنه قال : فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو العبادة لأن المحرم من الأوثان إنما هو العبادة ، ألا ترى أنه قد يتصور استعمال الوثن في بناء وغير ذلك مما لم يحرمه الشرع ؟ فكأن للوثن جهات منها عبادتها ، وهو المأمور باجتنابه وعبادتها بعض جهاتها ، ولما كان قول الزور معادلاً للكفر لم يعطف على الرجس بل أفرد بأن كرر له العامل اعتناءً باجتنابه . وفي الحديث : (عدلت شهادة الزور بالشرك) . .

ولما أمر باجتناب عبادة الأوثان وقول الزور ضرب مثلاً للمشرك فقال { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ } الآية . قال الزمخشري : يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفروق ، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال : من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من { خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ } فاختطفته { الطَّيْرُ } فتفرق مرعاً في حواصلها ، وعصفت به { الرِّيحُ } حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة ، وإن كان مفروقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والإهواء التي تنازع أوكاره بالطير المختطفة ، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي { تَهْوِي } مما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة انتهى . وقرأ نافع { فَتَخَطَّفَهُ } بفتح الخاء والطاء مشددة وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء . وقرأ الحسن وأبو رجاء والأعمش بكسر التاء والحاء والطاء مشددة ، وعن الحسن كذلك إلا أنه فتح الطاء مشددة . وقرأ الأعمش أيضاً تخطفه بغير فاء وإسكان الخاء وفتح الطاء مخففة . وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء : الرياح . .

{ ذَالِكَ وَمَنْ يُعَظِّمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا لِلَّهِ يُبْدِيهَا لِمَن يَشَاءُ }
* وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّذِكْرِهِمْ وَأَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ إِلَّا نَزَعَامُ فَإِذَا هُمْ كُفُومٌ إِلَّا هُوَ وَاحِدٌ فَلَا هُوَ
أَسْلَمُوا وَبَشَّرُوا . . .

إعراب { ذَالِكَ } كإعراب { ذَالِكَ } المتقدم ، وتقدم تفسير { شَعَائِرَ اللَّاهِ } في أول المائدة ، وأما هنا فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة : هي البدن الهدايا ، وتعظيمها تسمينها والاهتبال بها والمغلاة فيها . وقال زيد بن أسلم : الشعائر ست : الصفا ، والمروة ، والبدن ، والجمار ، والمشعر الحرام ، وعرفة ، والركن . وتعظيمها إتمام ما يفعل فيها . وقال ابن عمر والحسن ومالك وابن زيد : مواضع الحج كلها ومعالمه بمنى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك ، وهذا نحو من قول زيد بن أسلم . . .
وقيل : شرائع دينه وتعظيمها التزامها والمنافع الأجر ، ويكون والضمير في { فِيهَا } من قوله { لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ } عائداً على الشعائر التي هي الشرائع أي { لَكُمْ فِيهَا } التمسك بها { مَنَافِعُ } إِلَى أَجَلٍ { مَنْقُوعِ التَّكْلِيفِ } ثُمَّ مَحَلُّهَا { بِشَكْلِ } على هذا التأويل . فقليل : قليل : الإيمان والتوجه إليه بالصلاة ، وكذلك القصد في الحج والعمرة ، أي محل ما يختص منها بالإحرام { الْبَيْتِ الْعَتِيقِ } وقيل : معنى ذلك ثم أجرها على رب { الْبَيْتِ الْعَتِيقِ } قيل : ولو قيل على هذا التأويل أن { الْبَيْتِ الْعَتِيقِ } الجنة لم يبعدوا الضمير في إنها عائداً على الشعائر على حذف مضاف أي فإن تعظيمها أو على التعظمة ، وأضاف التقوى إلى القلوب كما قال عليه الصلاة والسلام : (التقوى ههنا) . وأشار إلى صدره . وعن عمر أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبيعهها ويشترى بثمنها بدناً) فنهاه عن ذلك وقال : (بل اهدها) وأهدى هو عليه السلام مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب ، وكان ابن عمر يسوق البدن